ما هو الطاغوت وما هي أنواعه وكيف نكفر به

كتبه غريب الديار بتاريخ الخميس ٦ رجب ١٤٤٢

يقول ربنا عز وجل:

﴿لا إِكراهَ فِي الدّينِ قَد تَبَيَّنَ الرُّشدُ مِنَ الغَيِّ فَمَن يَكفُر بِالطّاغوتِ وَيُؤمِن بِاللَّهِ فَقَدِ استَمسَكَ بِالعُروَةِ الوُثقى لَا انفِصامَ لَها وَاللَّهُ سَميعٌ عَليمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦]

فما هو الطاغوت الذي أمرنا اللّه أن نكفر به, قبل الإيمان بالله ليتحقق الإيمان؟

لقد اختلف الناس كعادتهم في تحديد ماهو الطاغوت, فمنهم من يحصره في الشيطان, ومنهم من يجعله كل من عبد من دون اللّه وهو راض, وغير ذلك من التعريفات المختلفة, فما هي حقيقة الطاغوت في وحي اللّه عز وجل؟!

في هذا البحث سوف نعرف بإذن اللّه:

- ما هو الطاغوت في القرآن
- أنواع الطواغيت
  - النوع الأول من عبد دون رضاه
  - النوع الثاني من عبد وهو راض أو أمر بعبادته
  - الطاغوت الذي يشرع بسم اللّه
  - الطاغوت الذي يشرع بغير اسم اللّه
  - الطاغوت الذي ينازع اللّه السلطة
  - الطاغوت الذي ينازع اللّه حق القضاء
  - الطاغوت الذي يدعي التصرف في الطبيعة
- كيف نكفر بالطاغوت كما أمر ربنا

ما هو الطاغوت في القرآن

إذا بحثنا في القرآن نجد أن كلمة الطاغوت وردت في عدة آيات, بعضها يحدد ماهو الطاغوت, وبعضها يحدد صفات الطاغوت, والتي تحدد ماهو الطاغوت هي التي تهمنا هنا لنعرف ماهية الطاغوت, والتي منها قول الحق سبحانه:

‹وَلَقَد بَعَثنا في كُلِّ أُمَّةٍ رَسولًا أَنِ اعبُدُوا اللَّهَ وَاجتَنِبُوا الطّاغوتَ فَمِنهُم مَن هَدَى اللَّهُ وَمِنهُم مَن حَقَّت عَلَيهِ الضَّلالَةُ فَسيروا فِي الأَرضِ فَانظُروا كَيفَ كانَ عاقِبَةُ المُكَذِّبينَ› [النحل: ٣٦]

وقوله:

‹لا إِكراهَ فِي الدّينِ قَد تَبَيَّنَ الرُّشدُ مِنَ الغَيِّ فَمَن يَكفُر بِالطّاغوتِ وَيُؤمِن بِاللَّهِ فَقَدِ استَمسَكَ بِالعُروَةِ الوُثقى لَا انفِصامَ لَها وَاللَّهُ سَميعٌ عَليمٌ› [البقرة: ٢٥٦]

إذا تأملنا هاتين الآيتين, اتضح لنا أن الطاغوت كل ما يتخذه البشر معبودا من دون الله بالنسبة لعابديه, فآية البقرة تشترط الكفر بالطاغوت أولا, ثم الإيمان بالله, وهذا يعني الكفر بكل إله سوى الله عز وجل, ثم الإيمان بالله, وهذا بالضبط هو التجسيد لقول "لا إله إلا الله" فلا إله, تعني الكفر بكل إله, و"إلا الله", إثبات الإيمان بالله وحده.

هذا المعنى للطاغوت – أي كل معبود سوى الله بالنسبة لعابديه – تؤكده آية النحل التي بينت مهمة الرسل وهي عبادة الله وحده, واجتناب الطاغوت, فقد بين الله عز وجل كيف مارس الرسل مهمتهم في آيات كثيرة منها على سبيل المثال لا الحصر, قوله سبحانه مخبرا عن نوح صلى الله عليه وسلم.

‹لَقَد أَرسَلنا نوحًا إِلى قَومِهِ فَقالَ يا قَومِ اعبُدُوا اللَّهَ ما لَكُم مِن إِلهٍ غَيرُهُ إِنّي أَخافُ عَلَيكُم عَذابَ يَومٍ عَظيمٍ›[الأعراف: ٥٩]

وقوله عز وجل مخبرا عن هود صلى الله عليه وسلم:

‹وَإِلى عادٍ أَخاهُم هودًا قالَ يا قَومِ اعبُدُوا اللَّهَ ما لَكُم مِن إِلهٍ غَيرُهُ أَفَلا تَتَّقونَ› [الأعراف: ٦٥]

وقوله تعالى مخبرا عن صالح صلى الله عليه وسلم:

‹وَإِلى ثَمودَ أَخاهُم صالِحًا قالَ يا قَومِ اعبُدُوا اللَّهَ ما لَكُم مِن إِلهٍ غَيرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِنَ الأَرضِ وَاستَعمَرَكُم فيها فَاستَغفِروهُ ثُمَّ توبوا إِلَيهِ إِنَّ رَبّي قَريبٌ مُجيبٌ› [هود: ٦١]

وقوله سبحانه مخبرا عن شعيب صلى الله عليه وسلم:

‹وَإِلى مَديَنَ أَخاهُم شُعَيبًا قالَ يا قَومِ اعبُدُوا اللَّهَ ما لَكُم مِن إِلهٍ غَيرُهُ وَلا تَنقُصُوا المِكيالَ وَالميزانَ إِنّي أَراكُم بِخَيرٍ وَإِنّي أَخافُ عَلَيكُم عَذابَ يَومٍ مُحيطٍ›[هود: ٨٤]

فكل الرسل أتوا لنفس الغاية، وهي تخليص الناس من عبادة غير الله عز وجل، وإفراد الله سبحانه بالعبادة، ومن ثم نفهم أن الطاغوت هو كل ما عبد من دون الله عز وجل بالنسبة لعابديه.

يجيب التنبيه أن المعبود من دون الله قد لا يكون قد طغى هو نفسه، وإنما طغى فيه عابدوه حيث نصبوه إلها من دون الله، فالشمس مخلوقة من مخلوقات الله عز وجل لم تطغى على أمر الله، ولكن طغى فيها بعض المشركين فجعلوها معبودا لهم من دون الله، أي جعلوها طاغوتا، لذلك حتى يسلموا عليهم أن يكفروا بالشمس كإله يعبد، ويفردوا الله سبحانه بالعبادة.

أي أن مفهوم الطاغوت متعلق بمن عبده، وليست متعلق بالمعبود نفسه، فالشمس بالنسبة لمن يعبدها طاغوت، وهي بالنسبة لمن لا يعبدها مخلوقة لله تسبح بحمد الله كسائر المخلوقات، لذلك مفهوم الطاغوت مفهوم نسبي متعلق بمن يعبدها لا غيرهم.

مما يؤكد على هذا المعنى أن يوم القيامة سيدخل كل من طغى فعبد غير الله عز وجل في جهنم كما أخبر الله عنهم في قوله:

‹هذا وَإِنَّ لِلطّاغينَ لَشَرَّ مَآبٍجَهَنَّمَ يَصلَونَها فَبِئسَ المِهادُ› [ص: 55-56]

فالطاغوت إذاً كل ما عبد من دون الله بالنسبة لمن عبده، بغض النظر ماهية المعبود، وهل طغى وادعى أنه إلها من دون الله أم لم يدع ذلك.

أنواع الطواغيت

علمنا مما سبق أن الطاغوت مفهوم متعلق بمن يعبد غير الله بالنسبة لمعبوده، ومن ثم فإننا يمكننا أن نقسم معبودات البشر أي الطواغيت إلى نوعين:

النوع الأول من عبد دون رضاه

هذا النوع من الآلهة هو الذي طغى فيه الناس دون رضاه أو إذن منه, وأمثلته كثيرة سبق وذكرنا الشمس كمثال عليه, ويدخل فيه الحجر الذي يعبد والكواكب والأنبياء والصالحين, فكل هؤلاء عبدوا دون رضاهم أو إذن منهم.

النوع الثاني من عبد وهو راض أو دعا الناس لعبادته

هذا النوع هو الأغلب في زماننا, وهو الذي ينصب نفسه إلها ولو لم يصرح بذلك بلسانه وسوف نأخذ منه أمثلة

الطاغوت الذي يشرع بسم الله

هذا النوع من الطواغيت هم الأكثر انتشارا, صاروا طواغيت لمعبوديهم حين أعطوا لنفسهم حق التشريع في دين اللّٰه باجتهادهم, فنازعوا بذلك رب العالمين حقه في التشريع, فهو وحده من له حق التشريع ويتجلى ذلك في قوله:

﴿أَم لَهُم شُرَكاءُ شَرَعوا لَهُم مِنَ الدّينِ ما لَم يَأذَن بِهِ اللَّهُ ۚ وَلَولا كَلِمَةُ الفَصلِ لَقُضِيَ بَينَهُم وَإِنَّ الظّالِمينَ لَهُم عَذابٌ أَليمٌ﴾ [الشورى: ٢١]

هؤلاء المفتون الذين يفتون بغير وحي اللّٰه عز وجل أصبحوا طواغيتا لمن يعبدهم بطاعته فتواهم, فمن معان العبادة الطاعة كما سبق وفصلنا في معنى العبادة.

الطاغوت الذي يشرع بغير اسم الله

هذا الصنف من الطواغيت يشرع للناس دون إذن من اللّٰه, وهو نفسه لا يدعي أن تشريعه يتعبد اللّٰه به كما يفعل الصنف السابق, هذا النوع ذا صبغة لادينية وهو بالنسبة لمن يعمل بتشريعاته طاغوت مثله مثل سابقه, ومن أمثلته مشرعي البرلمان في الأنظمة الديمقراطية, حيث أنهم يشرعون قوانين للناس دون إذن من اللّٰه وتعديا لحدود اللّٰه, فمن أطاعهم في تشريعاتهم لا شك أنه عابد لهم مشرك بهم.

الطاغوت الذي ينازع الله السلطة

هذا النوع من الطواغيت هو الذي يدعي أنه صاحب السلطة العليا, ويفرض سلطانه بالقوة الناعمة والخشنة على الناس, فمن خضع له وأقره له بحق السلطة فلا شك أنه عابد له, ومن أمثلته رؤساء الدول اليوم الذين يرون أنفسهم أصحاب السلطة العليا,

أمرهم فوق أمر رب العالمين بزعمهم, ولقد فصلنا فيهم في مقال معنى كلمة الرب في القرآن.

الطاغوت الذي ينازع الله حق القضاء

يتفرع عن الصنفين الأخيرين طواغيت أقل درجة من سابقيهم يجسدون ألوهية الصنفين الأولين حيث يحكمون في الناس بقوانين أربابهم من دون اللّه, هؤلاء طواغيت لمن تحاكم إليهم, خضوعه لحكمهم عبادة لهم, وقد بين اللّه هذا النوع في قوله:

﴿أَلَم تَرَ إِلَى الَّذينَ يَزعُمونَ أَنَّهُم آمَنوا بِما أُنزِلَ إِلَيكَ وَما أُنزِلَ مِن قَبلِكَ يُريدونَ أَن يَتَحاكَموا إِلَى الطّاغوتِ وَقَد أُمِروا أَن يَكفُروا بِهِ وَيُريدُ الشَّيطانُ أَن يُضِلَّهُم ضَلالًا بَعيدًا﴾ [النساء: ٦٠]

من أمثلة هؤلاء القضاة في المحاكم التابعة للأنظمة الحالية حيث أنهم يقضون بين الناس بحسب قانون وضعه المشرعون البرلمانيون أو غيرهم, فالذي يتحاكم إليهم عابد لهم بخضوعه لقانونهم.

الطاغوت الذي يدعي التصرف في الطبيعة

هذا الصنف من أقدم الطواغيت الذين عبدهم الناس قديما وحديثا, وهم الذين يدعون أن لهم سلطان على الطبيعة بحيث يدعون هبة الأولاد, والتحكم في قلوب الناس وهم السحرة والمشعوذون, الذين يقصدهم عبادهم طلبا للأولاد والزواج والرزق.

هذا النوع من الطواغيت رغم قدمه, ورغم سخافة دعواه فهو لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا إلا أن عُبّاده كثر ودوما ما يتقمص شخصية رجل الدين كما هو مشاهد عند الطرق الصوفية.

كيف نكفر بالطاغوت كما أمر ربنا؟

الكفر بالطاغوت يكمن في عدم اتخاذ إله مع اللّه عز وجل, أي عدم جعل ند لله عز وجل كما أخبر ربنا في قوله :

﴿الَّذي جَعَلَ لَكُمُ الأَرضَ فِراشًا وَالسَّماءَ بِناءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فَأَخرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَراتِ رِزقًا لَكُم فَلا تَجعَلوا لِلَّهِ أَندادًا وَأَنتُم تَعلَمونَ﴾ [البقرة: ٢٢]

فلا نطيع ولا نخضع إلا لله عز وجل، ولا نعترف لسلطان غير سلطان الله، فكل مدعي للسلطة من دون الله نكفر به ولا نعترف له بسلطة علينا

ولا نعترف بقانون غير شرع الله عز وجل نخضع ونتحاكم إليه، ونكفر بكل قانون لا يستمد مرجعيته من الله عز وجل.

ولا نطلب الرزق والعون إلا من الله ونعتقد أن الأمر كله بيد الله عز وجل، فهو وحده من له الخلق والأمر.

فإذا فعلنا ذلك نكون كفرنا بالطاغوت وآمنا بالله كما أراد ربنا عز وجل.